**المحاضرة الثامنة: نظرية الفونيم وتطورها في المدارس اللسانية**

**الهدف الخاص:**

**-**أن يفهم الطالبالاختلافات بين المدارس اللسانية في مفهوم الفونيم بناء على منظور كل مدرسة.

**الأهداف الإجرائية:**

-أن يحدد الطالب مفهوم الفونيم عند سوسير، ويقارن بينه وبين علماء اللسانيات

الأوروبيين والأمريكيين

-أن يشرح الطالب الاختلاف بين النظرة الوظيفية للفونيم والنظرة التوزيعية.

**تمهيد:**

تزايد الاهتمام بمجال الأصوات من قبل الباحثين في اللسانيات كونه المستوى الأول من مستويات التحليل اللساني، ولأن أي تحليل لبنية اللغة يستلزم الاهتمام بالصوت اللغوي وأثره في هذه البنية، ومع مرور الوقت لم يعُد العلماء يهتمون بعملية إنتاج الأصوات واستقبالها فحسب، وإنّما تطلعوا إلى دراسة وظائف الأصوات داخل البنية، مما سمح بظهور مصطلح "**الفونيم**" الذي شكل الركيزة الأساسية لعلم جديد موضوعه دراسة وظائف الأصوات هو الفونولوجيا (La phonologie).

**أولا/ بين الصوت والفونيم:**

يستعمل مصطلحا؛ "**الصوت**" "**والفونيم**" في الدراسات اللسانية بمعنيين مختلفين، ففي حين يظهر الصوت كمصطلح مرتبط بعملية إنتاج الأصوات عبر جهاز النطق، يستعمل الفونيم للتعبير عن استعمال الصوت داخل البنية حيث يرتبط ويدخل في علاقة مع بقية الأصوات تجعل له وظيفة وارتباطا تقابليا مع غيره من الأصوات المشكلة لبنية الكلمات.

وعلى ذلك يكون الفونيم هو" الوحدة الصوتية الوظيفية"[[1]](#footnote-1) في حين يعدّ الصوت عنصرا في الكلام، حيث تكلم العلماء عن الفونيم على أنه وحدة تنتمي إلى نظام اللغة وتدرسها الفونولوجيا أو علم الأصوات الوظيفي (La phonologie) في حين يعدّ الصوت موضوعا لعلم الأصوات (La phonétique) " وعدد هذه الفونيمات محدود في كل لسان وهي تختلف أيضا من حيث النوع والعلاقات المتبادلة فيما بينها من لسان إلى آخر."[[2]](#footnote-2)

لذلك بُنيت نظرية الفونيم على آراء عديدة ومختلفة من مدرسة إلى أخرى، ومن باحث إلى آخر حتى داخل المدرسة الواحدة، وتهدف النظرية إلى " بلورة منهج إجرائي نستطيع بواسطته أن نصف بصورة خالية من التناقض وشاملة مواضيع معطاة ذات طبيعة مفترضة."[[3]](#footnote-3)

وفيما يأتي عرض لمختلف الآراء التي تناولت المصطلح.

**ثانيا/ مفهوم الفونيم عند سوسير:**

تحدّث العلماء عن الفونيم كوحدة أساسية يقوم عليها الدرس الفونولوجي، فتناولوها من زوايا مختلفة حسب وجهة النظر التي ينطلق منها كل باحث، حيث نلفي **سوسير** يشير إلى ضرورة الاهتمام بالجانب السمعي أي عملية تلقي الأصوات عند الحديث عن الفونيم، وإعطاء هذا الجانب الأهمية التي يستحقها في ذلك، لأن سماع الأصوات هو الذي يسمح للمتلقي بتمييزها، فلا يكفي أن يتحدث الباحث في أصوات لغة ما عن عملية إنتاج الأصوات فقط مهملا عملية تلقيها، لأن عملية تمييز الأصوات هي التي تسمح بتحديد وظائفها، وخصائصها داخل لغة ما وهو ما يطلق عليه اسم "الفونيم" وهو عنده " مجموعة من الانطباعات السمعية والحركات النطقية للوحدتين الكلامية والسمعية، اللتين تشترط إحداهما الأخرى، وهكذا فها هي منذ الآن وحدة معقدة متموضعة في كلتيهما."[[4]](#footnote-4)

أي إنّ الفونيم عنده هو وحدة معقدة تجمع بين الجانب النطقي والسمعي في تكوُّنها، على الرغم أنه يركّز على الجانب السمعي، لأن الإنسان المتحدّث لا يستطيع أن يميّز الأصوات التي ينطقها مثلما يميّزها السامع، فيتعرّف بعد تحديدها على وظائفها أو تموضعها كفونيمات في لغة ما.

وما نشير إليه هنا أن سوسير أدخل العوامل النفسية في تحديد الفونيم كونه نتيجة عن انطباعات في النفس وهي النظرة نفسها التي وجدناها عند بدوان دي كورتيناي الذي ذهب إلى أن الفونيم هو ما يظنّ المتكلم أنه ينطقه وما يظن السامع أنه يتلقاه.

**ثالثا/ مفهوم الفونيم في المدراس اللسانية:**

اختلفت نظرة العلماء إلى الفونيم حسب زاوية اهتمام كل باحث أو مدرسة فقد نظرت جماعة براغ إلى الفونيم على أنّه وحدة تمييزية قبل كل شيء فهو:" مجموع الصفات الجوهرية فنولوجيا التي تميّز تأليفا صوتيا معينا[[5]](#footnote-5)." [[6]](#footnote-6) والقول **لنيكولاي تروبتسكوي** الذي جعل الفونيم ضمن النظام، أي أنه ينتمي إلى اللغة، في حين تحدّث عن الصوت كتأدية للفونيم، وكتنوع له فهو يوجد في الكلام، مميّزا بين أن يكون الحرف فونيما أي له دور في تمييز المعاني بعضها عن بعض، وماهيته مرتبطة بالمعنى، وأن يكون صوتا أي؛ لا يؤدي تغييره أو استبداله إلى تغيير في المعنى وبالتالي لا يعدو أن يكون تأدية للفونيم، فمثلا حرف القاف في فعل "قال" فونيم، وتأديته

في اللهجة الجزائرية " كال، آل" في بعض المناطق، فالكاف في لهجة جيجل في الشرق الجزائري يشكل تأدية للقاف، والهمزة في لهجة تلمسان في الغرب الجزائري هي تأدية للقاف أيضا، وهما في هذا الموضع صوتان أو تنوعان لفونيم القاف.

وقد ركزت جماعة براغ على مفهوم التقابل في تعريفها للفونيم، كما فعل **رومان ياكبسون** الذي قدّم الفونيمات في شكل أزواج تقابلية، متحدثا عن السمات المميّزة لعناصر اللغة والتي تميّز وظائفها، وقد ذهب **أندري مارتيني** زعيم المدرسة الوظيفية الفرنسية، وكان قد انضم إلى مدرسة براغ في مرحلة الثلاثينيات إلى تعريف الفونيم على أنّه أصغر وحدة ينتهي إليها التحليل في المستوى الثاني من مستويات التقطيع المزدوج.[[7]](#footnote-7)

أمّا المدرسة الإنجليزية فاهتمت بالجوانب العملية في معالجة الأصوات، حيث استطاع **دانيال جونز** صاحب معهد الدراسات الصوتيةأنيضع **"**قاموس تلفظ الإنجليزية"، ويقدم الفونيم على أنّه صوت عام يضم حزمة من الأصوات ضمن سياق بعينه، فالراء فونيم لأنه صوت عام ونطق الراء ترقيقا أو تفخيما في سياق ما، هي حزمة الأصوات المكونة لهذا الفونيم، أما **فيرث** فقد ذهب إلى توسيع دائرة الفونيم، فهو عنده لا يقف عند الوحدة القطعية الصغرى أو النهائية للتحليل، بل هو نوعان عنده؛ **قطعي وفوق قطعي**، وقد عرّفه بقوله: "الفونيم القطعي هو أصغر وحدة صوتية متمثلة في أحد الصوامت أو الصوائت التي نتلفظها، والفونيم الفوقطعي هو فونيم يزامن أحيانا الفونيم القطعي، وقد يكون نبرة أو نغما أو فاصلا، ويطلق عليه أيضا الفونيم الثانوي البروسوديم (Prosodeme)."[[8]](#footnote-8) وبذلك فالفونيم هو كل وحدة مميزة للمعنى.

أمّا في المدارس اللسانية الأمريكية فقد تحدث زعيم الاتجاه الوصفي؛ **إدوارد سابير** عن الفونيم في مقال له بعنوان" أنماط الأصوات في اللغة" على أنه الصوت المثالي، وعلى هذا تكون اللغة عبارة عن مجموعة من الأصوات المثالية "هذه الأصوات المثالية التي يكونها إحساس المرء بالعلاقات المقصودة بين الأصوات الموضوعية أكثر تحققا في نظر المتكلم الفطري من الأصوات الموضوعية نفسها."[[9]](#footnote-9)

وهو هنا يتحدث عن تحقق الفونيم في العلاقات الصوتية، أي إنّه يقع داخل البنية لا خارجها

أمّا في المدرسة التوزيعية فنظر التوزيعيون إلى الفونيم على أنه: "فئة من الأصوات التي تسلك بالنظر إلى توزيعها مسلكا واحدا، وظل معنى هذه الفئات الصوتية مستبعدا."[[10]](#footnote-10)

وعلى ذلك فهم يختلفون عن البراغيين الذين اعتمدوا المعنى في تحديد مفهوم الفونيم.

**خاتمة:**

وما يمكن قوله إنّ نظرية الفونيم عرفت توسعا كبيرا بفعل اختلاف الدراسات التي تناولته، وكذا تعدد آراء الباحثين حوله حتى داخل المدرسة الواحدة، مما سمح ببروز الاهتمام بهذه النظرية خاصة عند الباحثين المحدثين لما تقدّمه من معلومات مهمة عن خصائص اللغات في مجال الدرس اللساني عموما، ومجال علم الأصوات الوظيفي وعلم الأصوات على وجه الخصوص.

1. - كارل ديتر بونتنج. **المدخل إلى علم اللغة**. تر: (سعيد حسن بحيري)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع: القاهرة/ مصر، ط/ 2 (1431-2010). ص. 99 [↑](#footnote-ref-1)
2. - أندريه مارتينه. **وظيفة الألسن وديناميتها**. تر: (نادر سراج)، المنظمة العربية للترجمة: بيروت/ لبنان، ط/ 1 (كانون الأول-(ديسمبر) 2009). ص. 62 [↑](#footnote-ref-2)
3. - لويس يلمسليف. **حول مبادئ نظرية اللغة**. تر: (جمال بلعربي)، منشورات ضفاف: بيروت/لبنان+ دار الأمان: الرباط/ المغرب+ منشورات الاختلاف: الجزائر، ط/ 1 (1439-2018). ص. 24 [↑](#footnote-ref-3)
4. - فردينان ده سوسر. **محاضرات في الألسنية العامة**. تر: (يوسف غازي ومجيد النصر)، المؤسسة الجزائرية للطباعة: الجزائر، ط/ (1986). ص. 57 [↑](#footnote-ref-4)
5. - **ملاحظة:** قمت بتصحيح هذه الجملة، فقد وردت في النص الأصلي " تميّز تأليف صوتي معين" بالضم والصحيح أن تنصب. [↑](#footnote-ref-5)
6. - بيريزين ف.م. **تاريخ الدراسات اللسانية**. تر: (فتيحة قنيش)، دار القدس العربي: وهران/ الجزائر، ط/ (2013). ص. 283 [↑](#footnote-ref-6)
7. - ينظر: أندري مارتيني. **مبادئ في اللسانيات**. تر: (سعدي زبير)، دار الآفاق. ص. 18-19 [↑](#footnote-ref-7)
8. - أحمد مومن. **اللسانيات النشأة والتطوّر**. ديوان المطبوعات الجامعية: بن عكنون/ الجزائر، ط/ 2 (2005). ص. 184 [↑](#footnote-ref-8)
9. - عبد الصبور شاهين. **في علم اللغة العام**. مؤسسة الرسالة. ص. 130 [↑](#footnote-ref-9)
10. - بريجيته بارتشت. **مناهج علم اللغة من هرمان بأول إلى ناعوم تشومسكي**. تر: (سعيد حسن بحيري)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع: مدينة نصر: القاهرة/ مصر، ط/ 2 (1431-2010). ص. 301 [↑](#footnote-ref-10)